المسرح المحلي والحركة النقدية

رياض مصاروه - الناصرة

لقد سررت جدا للنقاش الذى دار حول مسرحية بنادق السيده كرار من على صفحات الطليعة ، وهذا بدوره يشجع وبوجه العمل المسرحي . لا شك ان اثارة النقاش مفيدة وسليمة في نفس الوقت .

لقد تابعت "المقالات النقدية " التي نشرت في الطليعة وفي الاتحاد واستطيع القول ان الحركة النقدية في مجال المسرح لم تتبلور بعد وذلك متعلق على ما يبدو بتبلور الحركة المسرحية الفلسطينية ، التي لاسباب موضوعية وذاتية في نفس الوقت ، لم تصل الى المستوى الفني والجمالي المطلوب .

ان الحركة النقدية في اى مجال فني او ادبي تكون عاملا مساعدا في تطور هذا المجال او ذاك ولدينا امثله عديدة باستطاعتنا الاستشهاد بها ان كانت محلية او عالمية ومن مختلف الفترات التاريخية وعلى سبيل المثال الحركة النقدية في الفترة الادبية الالمانية التي تسمى بالتنوير ١٧٠٠ – ١٧٧٠ والمشهوره بكتاب لسينج "الدراماتورجيا الهامبورجيه" .

عملية النقد صعبة ومعقده . فالناقد يحتاج الى وسائل نقد ومعرفة ، المعرفة في الاساس في القوانين العامة لعلم الجمال الذى يتطرق الى الاساليب ، والوسائل ، والمقومات والتعريف ...الخ وسائل النقد يكتسبها الناقد من معرفته للقوانين العامة لعلم الجمال

والنقد باعتقادى يجب ان يكون ملتزما والالتزام يتطلب منا معرفة علم الجمال الماركسي الذى يحدد لنا المهمات الاجتماعية والتاريخية للفن والادب. من الممكن ان يعتبر الناقد نفسه ملتزما ولكن ذلك لا يكفي بدون المعرفة لانها تحدد الالتزام وتدعمه بالبراهين والحجج.

احيانا يقع الناقد بتناقض معين حين يرى عملا مسرحيا الذى لا يستهلك طاقته النقدية فيكتفي بنبذ العمل ويطرح مقولات ليست عينيه ولا موضوعية ، وهنا تكمن الصعوبة بانتقاء البراهين والحجج.

ان النقد بحد ذاته بحث ودراسة علمية لمجال معين في فترة تاريخية معينة ، يبحث في مهمات المجالات الادبية والفنية ويقوم بتطبيق عيني على اعمال عصرية ويمكن دَعم هذا التطبيق بتجارب تاريخية محلية او عالمية وهنا نعني ان النقد يقوم احيانا بالمقارنة العصرية اوالمقارنة التاريخية .

فمن هنا نرى ان عملية النقد صعبة ومعقدة وتحتاج الى دعم فكرى وسياسي ومعرفة في نفس الوقت .

لننتقل الى مثال عيني وباعتقادى مثال كلاسيكي للنقد عندنا لقد تطرق الاخ محمد كمال جبر الى نقاط عديدة في مسرحية بنادق السيده كرار وذكرها ببساطة ساذجة جدا ولا اعتقد انه درس المسرحية بالعمق المطلوب ولكنه اكتفى برأى من منطلق "الحرص الكبير على المسرح المحلي " وتخوفه ان المسرحيات العالمية تعيق تطور المسرح المحلي . اني اوافق الاخ يعقوب جميل اسماعيل في نقاشه لموضوع المسرحية على انه موضوع انساني عام ليس مقتصرا على الحرب الاهلية في اسبانيا ولكن الحرب الاسبانية كانت حافزا للتطرق لهذا الموضوع الذى يشغلنا حتى يومنا هذا .

ان الاخ محمد يبالغ في قوله ان السيده كرار لا تعيش بين ظهرانينا ، وهنا اريد ان اطرح السؤال وبصراحة متناهية .

كم من النساء والرجال والشباب (من الضفة ومن عرب اسرائيل) يتخذون من الموقف الحيادى الذى اتخذته السيده كرار الا يعدوا بالالاف ؟

وبرخت لم يختر العنصر النسائي وخاصة الام ليؤكد ان النساء فقط هن هكذا ؟ ولكنه اتخذ السيده كرار ، الام ، كمثال. وكرمز ولتصعيد الموقف الدرامي .

صدقني يا اخ محمد انني اعرف الكثير واسمع الكثير عن اناس محايدين ويائسين . ام اننا لا نريد ان نرى الواقع الذى نعيشه .

صحيح ان السيده كرار اسبانية الاصل ولكنها رمز لكل ام ولكل انسان في المعارك المصيرية . انها ام وانسانة من لحم ودم تحب اطفالها حتى الجنون وتخاف عليهم – وخوفها على اطفالها هو الذى دفعها الى هذا العمل .

الاخ محمد يريدني ان ادفعها للاشتراك في المعركة . كيف ادفعها ؟ هكذا ... ببساطة ؟ اليس من المستحسن ان تدفع للمشاركة بعد التجربة المريرة ؟ واماذا ستقول اذن عن الام الشجاعة التي فقدت اولادها الثلاثة في الحرب واستمرت في العيش على حساب الحرب ؟

ولنطرح السؤال التالي – الم نندفع نحن للمشاركة بعد التجربة المريرة يا اخ محمد ؟ اى ، بعد المعرفة الواعية – وهذه المشاركة هي الفعالة اكثر من غيرها .

هناك قضية "ان الممثل فلان اتقن دوره . او تقمصه ، او لم تعجبني حركاته ... الخ ...

المعروف ان المخرج يعطي تفسيره الخاص للعمل المسرحي (وهذا التفسير خاضع لتأثير اجتماعي ، طبقي ، سياسي ..) ككل ، وذلك يتجلى في عناصر عديده ١) تفسير الادوار ، وحسب تفسيرة للادوار يختار الممثلين ، وتفسير الادوار يجب ان يدعم التفسير الكلي للمسرحية ٢٠) اختيار الديكور ٣) الملابس ٤٠) الاكسوار ٥) الماكياج ٦) الموسيقى (اذا كانت هنالك حاجة وعناصر تاثير اخرى صوتية وضوئيه الخ ... كل هذه العناصر يجب ان تساعد في سرد الحبكة المسرحية على خشبة المسرح وتعطينا التفسير الكلي وماذا نريد ان نقول للمشاهد .

ولكنه يختار الامر الذى يجلب انتباهه وينسى تفاعل العناصر التي ذكرتها ، وكيف تدعم العمل المسرحي ككل .

لننتقل الى مثال عيني وهو الممثلة "بشرى قرمان" في دور السيدة كرار . لا اعتقد ان الاخ محمد رأى السيدة كرار ، في الاطار الكلي الذى ذكرته وانما تناول الدور منفصلا عن العمل وعن الادوار الاخرى ، لقد فصلها عن العامل ، الفتاة ، السيده بيرتس ، خوزى والقسيس . لا اعتقد ان بشرى قرمان في دور السيدة كرار كانت عنجهية في تصرفاتها وانما وصلت الى حد لا يطاق في تناقضها مع الاخرين مما جعلها تستفرس وتتصرف تصرفات غير لائقة الى ان طفح الكيل . ومن قال ان الفقير على خشبة المسرح يجب ان يفقد الصفات الانسانية . نعم من المفروض ان تظهر فقره الطبقي ولكن في نفس الوقت علينا اظهاره ككائن اجتماعي مع كل تناقضاته وصراعه . هل تعرف يا اخ محمد ان برخت اعطى الفلاحين في بداية الخمسين صفة الملوك وجعلهم يتكلمون حسب الوزن الشعرى في مسرحيات شكسبير .

اذا اراد الناقد ان ينتقد ممثلا في دور ما عليه ان يبحث في تطور الدور نفسه ولا يتناول جانبا واحدا ، عليه ان يرى علاقته مع الادوار الاخرى كي لا ينسى التفاعل المتبادل على خشبة المسرح.

على الناقد ان يتوصل الى ما اراده المخرج ويبحث اذا نجح بذلك عن طريق العناصر التي ذكرت .

قليلة هي المقالات النقدية التي تأخذ كل هذه العناصر بعين الاعتبار ، وباعتقادى ان الاخ محمد افلح اكثر في مقاله عن مسرحية رجال في الشمس بغض النظر عن بعض النقاط التي لا اوافقه عليها ولكنه اتخذ بنية معينة للنقد وحبذا لو دعم الحجج ببراهين اكثر واقوى ، لا اعني فقط الاشياء التي لم تعجبه وانما ايضا الاشياء التي اعجبته .

الخلاصة اننا نفتقر الى معرفة العناصر الجمالية في فن المسرح وذلك يجعل حركتنا النقدية سطحية في اغلب الاحيان .

مع تحياتي الاخوية الى محمد كمال جبر وجميل يعقوب اسماعيل والى الطليعه التي اصبحت منبرا مشرفا للنقاش الاخوى والبناء .

تأشيرات مرور في زمن المحل

شعر معين بسيسو

"فدوى"
من قاع الجرح النامي فينا
آتيك وفي العينين
شظايا القلب ،
وخارطة العشاق المرصوفة
بالقهر ..
والعنب المر يخشب في زنزلخت
خلف "الدامور" تدور حكايات
تلفح ظما الشوق النافي عنه
الجسر ..
كل غرائب هذا العالم أعجنها
في خبزي ..
"والوجه الثالوثي" المتارجح
بين الحانا والمانا ..
قد كان يحاول ان ينسى
فيا ليلاه ..
قبيل العقد الاول للميلاد الثاني
أعرف ..
كل خبايا هذا الكون المتاجج في
أعرف ..
أن البندورة البلدية والخيار البلدي
والزبل الكيماوى شيء ينمو فينا
نخرج من تحت الجلد الشوك الرا
حول الجدران ..
يا خشب اللوز النابع من كف
شعبني في عمق الجذر ..
وتمترس عند مغارة "حام" السر
وأشنقني ان ذبت اليك حنينا
أشنقني ان بقي الحب بدربي غ
أشنقني ان عز علي لقاء هو،
يا كل العشاق المنبوذين
على الساحات أتيت ،
أحمل في كفي المنجل ..
وأغني للعمال المحوقين
للفلاحين أغني ..
لزقائق حارتنا ... سأغني
لجذور الزيتون أغني
ولخشب اللوز أغني
للعنب المر أغني
ولكل شناكل هذا العال
أهدى أوراقي الحمراء ..
ان شعاع الفجر القادم
أقوى من لهب الشم

تحت أعواد المشانق

بمناسبة صدور طبعة عراقية جديدة لكتاب يوليوس فوتشيك: "تحت اعواد المشانق".

يعتبر هذا الكتاب وثيقة تسجيلية رائعة من الادب السياسي التقدمي. كتبه مؤلفه وهو في اقبية الغستابو، وظل المشنقة يخيم فوق رأسه.... وقد استطاع تهريب قصاصات الورق التي كان يكتب عليها بمساعدة حارس تشيكي. وجمعتها بعد الحرب زوجته، التي كانت هي ايضا معتقلة في مكان ما، ونجت مع من نجوا من الذين لم يتمتن الوقت الكافي لابادتهم.

والمؤلف من حملة لواء الفكر والثقافة والنضال الديموقراطي قبل الحرب، وبطل من ابطال المقاومة الوطنية ضد الاحتلال النازي لبلده تشيكوسلوفاكيا، انواع التعذيب ان ينال من صموده ومقاومته للاحتلال الهتلري.

والكتاب، الى ذلك، تراث ادبي زاخر بالفن والجمال ودقة التصوير، وصدق العاطفة، وهو ايضا وثيقة اتهامية خالدة تشهد على الوحشية البشعة اللاانسانية المتمثلة في الفاشية والنازية.

ولقد اشرف فوتشيك على الهلاك اكثر من مرة نتيجة للتعذيب الوحشي.... ومرت ساعات وايام وفوتشيك ملقى في الزنزانة بين الموت والحياة حتى ان السجينين الآخرين اللذين يقاسمانه الزنزانة ظنا مرارا انه فارق الحياة، فأخذا يجذانه بترنيم الموت. ولكن في فترات متقطعة كان وعيه يعود اليه بضع لحظات فيفتح عينيه كمن يصحو من حلم عميق، ويسمع ما دنيه يطوفان حوله دون ان يستطيع حراكا او كلاما. ثم يعاوده الشعور بالالم، فيوقن انه لا يزال حيا "فهذا الالم - توأم الحياة - لا يفارقني لحظة واحدة، ولا تخف حدته..."

كان يصرخ به مستجوبه النازي:

"الا تفهم؟ ان هذه هي النهاية. لقد خسرت لعبتك؟

فيجيبه: اني انا وحدي سأخسر.

– اما زلت تعتقد بانتصار الشيوعيين؟

– بكل تأكيد .... وهل تكون النتيجة غير هذه".

"ما هم يحضرون زوجتي"

– هل تعرفينه؟

– لا... لا اعرفه

قالتها دون ان تبدو منها حتى ولا اشارة بعينها تنم عن رعبها يا لها من جوهرة... لقد حفظت عهدنا بأن لا تتعرف علي.... بالرغم من ان هذا لم يبق ضروريا الان..."

"ومن بعيد سمعت صوتا: "يكفيه ما ناله حتى الان.."

"انه لن يعيش حتى الصباح.."

ولكنه بقي حيا كانما يتحدى الموت، كان عدد الذين يحاولون استنطاقه اكثر من عشرة... وكانت دلائل التعب تبدو عليهم... "الا ان الموت لم يأت بعد..."

لقد صور فوتشيك بكلمتين وجه الخائن "ان منظر من خانته شجاعته وضميره اسوأ بكثير من منظر ذلك الذي تكسر جسمه

الشفقة حقا فما هي تلك الحياة التي سيحيونها والتي استنفد ثمنا لها حياة رفيق مناضل..."

ويصور فوتشيك في كتابه نماذج كثيرة على بطولات ومجد هؤلاء الذين سلمهم هذا الخائن. ولم يبح احدهم بكلمة واحدة... ه يصف علاقته بزوجته وحياتهما معا وينتهي الى "في وسعهم ان ياخذوا حياتنا، اليس كذلك يا غوستينا.... ولكنهم لا يستطيعون ان يمسوا حبنا وشرفنا!

لقد جمع فوتشيك افضل مزايا المناضل الثوري الجدير بالانتماء الى قافلة المحررين في اصعب الساعات التي مرت به في اقبية التعذيب بين ايدي الجلادين... وقبل تنفيذ حكم الاعدام...

"في هذه الساعات نفسها الان.... يخوض الملايين من البشر المعركة الاخيرة في سجيل تحرير الانسان، ويستشهد الالوف في هذا النضال... وانا احد الشهداء... وما